محمد حسنين هيكل في أول حـــديـــــث له بعد الانتفاضة المصرية الجديدة

الاميريكان هم الذين أقنعـــوا الجيش بضرورة رحيل مبارك

ثم أجبروا المجلس العسكري علـــى أن تكون الانتخابات قبل الدستور

لأنه الشاهد الأوحد تقريباً على كل تحولات مصر المعاصرة من الملكية إلى الناصرية إلى الساداتية إلى المباركية إلى «25 يناير» وما تلاها، يبدو الأستاذ محمد حسنين هيكل أحد القلائل القادرين على قراءة مشهد الوطن، ليس فحسب بسبب خبرته العريضة ومخزونه التاريخي والمعرفي الهائل، ولكن أيضاً لأنه يمتلك الرؤية، رؤية الطائر حين يحلّق من أعلى فيرى المشهد مكتملاً بكل التفاصيل التى لا يستطيع الغارقون فى أرض الأحداث أن يلموا بها.

وخلال حديثه الممتد، مساء أمس الأول الخميس ، مع الإعلامية لميس الحديدى على قناة «سى بى سى» المصرية المستقلة، حاول الكاتب الكبير أن يشخص مرض مصر ليصل إلى موضع العلة بأبسط الطرق من خلال مد الخطوط، تارة على استقامتها للأمام وتارة أخرى عبر الزمن، بهدف تفسير ما يحدث حالياً من تشابه فى الظروف وتشابك فى السياق.

ولعل الذين تابعوا المقابلة لاحظوا حرص هيكل على تجنب محاولات الاعلامية لميس الحديدي إجتذابه للدخول في مناطق حمراء، حيث كان يكتفي برصد وتحليل تفاصيل المشهد السياسى فى مصر، والضغوط التى تعرضت ولا زالت تتعرض لها مصر من الخارج ، وحالة الانقسام الدائرة بين طرف ظهر إلى النور ويجلس على مقعد السلطة ويخشى العودة إلى ما كان عليه من قبل ، وجيل ثائر اكتشف أن ثورته قد اتعزضت للاختطاف ، وان المستقبل مشوه الملامح بفعل ما وجده فى الدستور.

ونظرا لأهمية هذا الحدبث تعيد 14 اكتوبر نشره كاملاً :

□ أستاذ هيكل، أهلاً بك، وأولاً، أشكرك على أنك سمحت لنا بهذه الفرصة.

□□ أولاً، أشكرك على المقدمة ولكن عندى أسباب كثيرة جداً تجعلنى أبدأ بالاعتذار، أولاً، أنا رجل قادم من خارج السياق، أنا من خارج سياق هذا الزمن وأنتمى إلى زمن آخر ولست بحاجة لشخص يخبرنى أننى، بحسابات العمر، خارج السياق، أنا أقول من البداية إننى خارج السياق ومن خارج التليفزيون، لكننى فى الحقيقة منذ 6 أشهر لم أتحدث مطلقاً، وأدرك أن أهل هذا الزمن أولى بأن يتقدموا لحل مشاكله. ثانياً، كنت أشعر أنه ليست لدىّ بشارات لتطمين أى إنسان، لأن كل ما حولنا مزعج، فإذا كان ما لدىّ لا أضيف قلقاً إلى قلق فلا بأس من إعفاء الناس منه دونما داع، وأنا سعيد باللقاء.

فى واقع الأمر، كان هناك جزء موفق فيما قلته على الشاشات حول لحظة ديسمبر الخطرة، وأنا أعتقد أن هذه اللحظة مهمة، وأريد أن أتوقف أمام 3 أيام وأقول كيف تبدت الأزمة أمامى، لو قلت لك من موقع صحفى قديم مهتم بالمتابعة وبما يجرى بالبلد وبالمستقبل ويرى حركة أجيال زاحفة ويتمنى أن تنجح، أنا أرى أن هذه اللحظة خطرة جداً لكنها لا تدعو لليأس.

□ خطرة لكنها لا تدعو لليأس؟

□□ ليس فيها ما يدعو لليأس لأنها طبيعية، مثل هذا طبيعى فى حياة الأمم فى أوقات الأزمات.

□□ كلنا فى حالة اكتئاب، مثلاً الحيوان عندما يقع فى مأزق يفكر فى خطوة واحدة: يهرب، أم يقاتل، الإنسان يفكر على الأقل فى 4 أو 5 خطوات، الأمم تنظر فى 10 أو 12 خطوة لو تقدر، كل رجل يملك أن يستقيل، يملك أن ينعزل لكن الأمم لا يمكنها ذلك، ما دام الإنسان قرر أن يعيش فى هذا العالم

□ كيف ونحن فى حالة اكتئاب؟

وهذا العصر، وأن يتقدم، الشعوب لا تستقيل ولا تنتهي ولا تنتحر. نحن أمام ضرورة أن نجد حلاً، وعندما نجد أنفسنا أمام ضرورة أن نأتى بحل فالخطوة الأولى ننتظر الأمل، لو بصيت على أوروبا على سبيل المثال غداة الحرب العالمية الثانية، كانت كلها مدمرة والشعوب كلها فى حالة لا يتصورها أحد، بصى وشوفى أوروبا بعد كام سنة لو الشعوب قالت الحالة تدعو للاكتئاب وسوف نعتزل مش ممكن.

تعالي نتكلم على الأسبوع الحالي، أول هذا الأسبوع، أنا أعتقد أن هذه الأيام الخمسة من ديسمبر موحية ودالة وحافلة وهاقولك بتجربة شخصية لأننى بدأت هذا الأسبوع مثلي مثل كل الناس قرأت مشروع الدستور وصدمت من أول مادة.

□ من أول مادة؟

□□ من أول مادة، فى تحديد الهوية، لكننى أريد أن أقول إن الخطأ والصواب وارد، لكن أول مادة تصدمنى لأننى أعتقد أنها متعارضة مع الجغرافيا والتاريخ، وهذا موضوع آخر ستتحدث فيه، توقفت عندها وقرأت مواد الدستور، وجدت أشياء كثيرة أخرى لا تعجبنى، وقرأت لخبراء كثيرين، واستطلعت آراء خبراء كثيرين، ووجدت أن مخاوفى لها ما يبررها، وتابعت إقرار الدستور فى الجلسة الأخيرة ولا بد أن أعترف أن عملية إقرار الدستور أقلقتنى أكثر من أى شيء آخر، ففى الأسبوع السابق مباشرة قال الرئيس مرسي بنفسه فى الإعلان الدستورى إنه سيعطي شهرين إضافيين للجمعية لتكمل عملها، وهذا بالتأكيد عن علم لديه بأن الجمعية لم تفرغ من عملها ولديها الكثير لتؤديه، فجأة نرى الدستور يتم إقراره فى نفس اليوم، وللإنصاف ناقشوه طويلاً واستقروا على أشياء، وبعض ما استقروا عليه فى رأيى خاطئ، لكن جلسة الإقرار النهائى بدت بالنسبة لى أقل جداً من قيمة دستور دائم أستطيع من خلاله أن أطمئن إلى تنظيم المستقبل لأن الدستور هو تصميم مستقبلى لأمة، أنت لا تضع دستوراً للماضى ولا للتاريخ بل تضع دستوراً للمستقبل.

□ هل صحيح أن الدساتير يجب إقرارها فى جلسة واحدة؟

□□ هناك مدرستان فى هذا الشأن، ولا بد أن نفرق بين جلسات مستمرة لمناقشة الدستور طالت تقريباً 4 أشهر، وبين أن يجرى إقراره فى جلسة واحدة، هناك مدارس تأخذ بالإقرار فى جلسة واحدة تطول أياماً. وآخر نموذج كان الدستور الإيطالى 1946 الذى استغرق 6 أيام متواصلة لأنهم يخشون من وقوع ضغوط على واضعى الدستور إذا أخذوا انقطاعات طويلة وذهبوا إلى مكاتبهم وبيوتهم، فربما تأتى ضغوط من خارج السياق وتؤثر على نظرتهم فيما يفعلون، وهنا التوافق يأخذ وقتاً طويلاً ولا يتحقق.

ليس عندى اعتراض، اعتراضى على الطريقة والأسلوب وعلى المناخ السائد فى الجلسة ثم على ما سبق ذلك من إقصاء، وناس دخلوا وناس خرجوا، ففى الجلسة الأخيرة تقرر اعتبار المنسحبين مستقيلين، وهذا بالنسبة لى يحتاج وقفة أكثر من ذلك، لكن على أى حال قراءة النصوص إلى جانب المناخ الذى أقرت فيه مواد الدستور بطريقة نهائية أزعجتنى، فى الحقيقة صباح هذا اليوم اتصلت بأحد أقطاب النظام ولا أريد ذكر اسمه، لأننى لم أستأذنه، لكن إذا أذن لى مستقبلاً سأذكره، هذا الرجل تكرم وهو من خيرة هذا النظام وأمعهم وأنا شخصياً أطمئن إلى رأيه، أيقظته من النوم وشرحت له مخاوفى.

□ هذا يعنى أنك كنت قد وصلت إلى مرحلة قلق شديدة؟

□□ مش أنا بس، مصر كلها بدت قلقة، بل إنها لم تنم، هذا القطب البارز من أقطاب النظام قال لى: «أستاذ هيكل، أنا متأسف، لأنى نمت 4 الصبح»، الرجل قال لى إنه سيمر علىّ قبل أن يذهب إلى مكتبه وقد كان، قلت له إننى لأول مرة بدأت أشعر بقلق، وهنا أقصد أننا طوال الفترة الانتقالية كنا نشعر بمزيج من الألم فى المستقبل والتخوف من أننا غير قادرين على الإمساك بمفاتيح حل، وده طبيعى، شعرت بقلق الرجل وعرضت عليه قلقى وطلبت منه أن يخرج من عندى ويذهب إلى الرئيس مرسي مباشرة ولو حتى دون موعد، الرجل أنا أعرفه وسبق لى أن رأيته ووجدت فيه ما يمكن الحوار معه وهو معقول جدا، وينقل له ما أقوله.

قلت له إن البلد دخل فى نفق قطيع، الدستور ليس قانوناً، هو عقد طوعى لجماعات مختلفة تريد أن تحيا حياة واحدة مشتركة على أرض واحدة، فى القوانين هناك أقلية وأغلبية وهناك حاضر وغائب، لكن وضع الدستور يقتضى وجود كل القوى الطبيعية فى المجتمع، وقلت له إذا غابت الكنيسة وهى غائبة، وإذا غاب عدد كبير من المثقفين وقد غابوا، والمفكرون وقد غابوا، إذا اقتصر عمل الدستور على فئة واحدة فى المجتمع مع احترامى لقيمتها، إذن أنا من حقى أن أقول إن هذا خطر، قال لى إن ما حدث من دواعى السرعة، قلت له إن دواعى السرعة مطلوبة فى كل شيء إلا وضع الدستور، لأن الدستور هو بناء مستقبل، مثل بناء البيت، إذا أردت أن تبنى بيتا بسرعة ولا تملك أسمنتاً ولا حديداً ولا حجراً، ورغم ذلك أريد البناء سريعاً لأن أولادى فى العراء فهذا معناه أن تأتى بأولادك فى بيت دون أساس كافٍ. ودون أى شيء لكى أضع الأولاد فى هذا البيت لكى ينهار عليهم أول ما يدخلوا يسكنوه، قلت له إن ما يقلقنى أن هذا الدستور سوف يؤخذ فى اجتماع خاص يسلم فيه إلى الرئيس. وقلت له أنا متصور إن الرئيس إذا أراد أن يعرض هذا المشروع على الناس مثلاً يتسلمه فى الميدان إذا أراد أو أمام المحكمة الدستورية التى حلف أمامها اليمين، أو اجتماع عام إذا أراد، أنا سامع متأفات فى المظاهرات أمس أن الشعب يريد إسقاط النظام وأنا ضد هذا الكلام لأننى أعتقد أنه عبث ولا يؤدى إلى أى شيء، هذا النظام موجود وله شرعية معينة وهى شرعية واضحة وينبغى أن يستوفى مدته، وقلت له إن شرعية النظم تسقط بالجرائم ولا تسقط بالأخطاء، الأخطاء تستوجب المسئولية، إنما لما حد يقول يسقط النظام هذا كلام لا يليق فى هذا التوقيت، أنا فاهم الدواعى الجامحة اليه لكنه ليس منطقياً، مش معقول، احنا قلنا فى الفترة اللى فاتت طرفى نحن أمام حقيقة سياسية لا يمكن إنكارها. إن مواقف الناس تتأثر فى السياسة بالانطباع قبل الاقتناع، هذا الوضع الموجود والمناخ لا يساعد على شيء وهو خطر.

□ كان هذا قبل أن يتسلم الرئيس الدستور؟

□□ نعم، وهو قال لى الرئيس لا يمكنه أن يتراجع، وقلت له ولا أحد يطلب من الرئيس أن يتراجع، أنا أعرف هيبة الرئاسة وأعرف كيف تتعامل هيبة الرئاسة، هيبة الرئاسة تمنعه من التراجع لكن مسئولية الرئاسة تدعوه إلى أن يفتح مخارج جانبية يمكن أن يخرج البخار المحبوس أولا ثم تدخل منها تصورات أكثر تعقلاً ثانياً.

□ هل قدمت بدائل؟

□□ نعم، قلت له فى هذه اللحظة لا يمكن للرئيس أن يتراجع لكن الرئيس بنفسه أعطى اللجنة التأسيسية شهرين لتكمل عملها، وأنا أقترح أن ينقل المسألة فى الشهرين إلى الناس بدلاً من أن يترك اللجنة تستغرق شهرين، يقول إن الاستفتاء بعد شهرين، المادة يتقول إن السوابق بتقول 15 يوما وأنا باقول «وقت» إعلانك كما تشاء، الرئيس من حقه وهو يتابع أعمال الجمعية أن يأتى بلجنة من مستشاريه يفحصون الدستور ويقدمون له تقريراً ليتبين بنفسه، رئيس الدولة ليس رجلا يتلقى الدستور، صحيح يتابع المناقشات، حتى هو يقول إنه لم يتدخل فى عمل اللجنة وإنه تابع عملها، أرجوك شكل لجنة من نائب الرئيس، وهو من أكثر القانونيين احتراماً، ومن وزير العدل المستشار أحمد مكى وأنا أعرفه وهو قاض مستقيم وأظن أن الرئيس ومعه عدد من مستشاريه قادرون أن يدرسوا فى مدة شهر هذا النص الذى قدم إليهم، فإذا اقترحوا عليه تعديلا يرسلونه إلى لجنة الدستور، ثم يطرح للاستفتاء فى مدة 15 يوما.

□ هل استشعرت أنه متفهم لقلقك؟

□□ قد لا يكون من حقى أن أنقل مشاعره، لكن أنا شعرت أن الرجل تجاوب فكريا مع ما أبديت من حجج خاصة لما قلت إن السياسة بالانطباع وليس بالإقناع وإنه مهما كانت حججك أمام الناس إذا شك الناس فيها فمن واجبك إيضاح شكوكهم والتغلب عليهم، الرجل كان متفهما لكن عندما رأيت الجلسة مساء لم يعجبنى المنظر.

□ ما الذى لم يعجبك فيه؟

□□ أول شيء أن قاعة المؤتمرات تذكرنى بالنظام السابق، والكراسى المرصوصة بالطريقة دى، إذا الرئيس أراد أن يعلن عن الدستور يذهب إلى ميدان التحرير، أنت حلفت أمامة اليمين أول مرة، خذ الدستور إليه.

□ لكـن مـيـدان الـتـحـريـر يرفض الدستور؟

□□ الدستور فيه كثير جداً يُرفض، لكن أكثر شيء أخشاه فى حياة الأمم هو أن تأتى لحظة يتعثر فيها العقل ويشتط فيها الجموح، عايز أقول إن فيه شخص من أعز أصدقائى، جاءنى وقال لى أنت هتتكلم، أنا عارفك، بلاش العقل الزائد، المشاعر جامحة فى الشوارع، وأنا شخصياً لم أذهب إلى ميدان التحرير ولا مرة.

□ ولا مرة؟

□□ لأننى شعرت أن هذه صيحة جيل علىّ أن أسمعها باحترام وأكبر خدمة أقدمها أو يقدمها جيلى كله أن نبتعد عنها، كل من تخطى السبعين يبتعد عنها، مش ممكن، أنا لم أر مجتمعاً من العواجيز مثل هذا.

□ رأيـت الـمـشـهـد عـلـى شاشة التليفزيون.. الرئيس يتسلم الدستور ويقرر الاستفتاء خلال 15 يوما.. هل شعرت أن مافيش فايدة؟

□□ لفتت نظرى السرعة.

□ شعرت أنهم لم يستمعوا لنصيحتك؟

□□ حتى لا أظلم أحداً، ربما لم يتمكن من لقاء الرئيس أو أنه قدمها ورُفضت، لكن لما شفت الرئيس مرسي يقول دعوة إلى مؤتمر بدأت أتفاءل، لكن وجدت أن الدعوة بعد أمر واقع، هذا لا يصح، إذا كنت تريد أن تناقش شيئا معى فلا تتصرف ثم تطلب منى الكلام. ما أخافنى هو أن السرعة بدت غريبة جداً وحركة الميدان التالية لها بدت غريبة، وتصورت، وأظننى لست مخطئا فى تصورى، أننا أمام طرفين قلقين جداً: طرف قلق جداً يستعجل جداً لأنه يخشى جداً أن يعود به الحاضر إلى ماض يعرفه ويذكره، الإخوان خايفين أو التيار الإسلامى خايف، فبدأ أنه يتصرف على عجل لأن ذكريات ما جرى له فى الماضى تخيفه.

□ أو أنه يخشى أن يفقد السلطة.

□□ أنا أقول إنه يخشى من ماض هو يعرفه وقد تعب فيه بلا شك، وهناك طرف آخر يخاف من مستقبل لا يريده، الشباب من ناحية لا يريد أن يرى صورة المستقبل كما بدت فى الدستور، «ارحل» كم مرة، قلنا ارحل لمبارك ورحل، وقلنا ارحل للمجلس العسكرى ورحل، وقلنا ارحل لـ 6 وزارات جاءت، وفى الواقع هم أكثر من ذلك، شفيق شكل وزارتين فى ظروف الثورة وعصام شرف شكل وزارتين والجنزورى شكل وزارتين ثم هشام قنديل، ارحل تطارد كل الناس، فى ظرف سنتين كم «ارحل» قيلت وكم «يسقط»، لا بد مش البشر العاقلين والشعوب المستنيرة أن يكون لديك خطوة واثنتين وثلاث وأربع، وقلت إن الحيوان تكفيه خطوة واحدة.

□ كيف استمع إليك هذا المسئول؟

□□ هو استمع إليّ وعارضنى فى بعض المواد وشرحت وجهة نظرى واقتنعت ببعض ما قاله لى، لكننى قلت له مهما كانت أسبابى وأسبابك والعقلانية فى ظرفك والعقلانية فى

الإعلامية لميس الحريري

شكل لجنة من نائب الرئيس، وهو من أكثر القانونيين احتراماً، ومن وزير العدل المستشار أحمد مكى وأنا أعرفه وهو قاض مستقيم وأظن أن الرئيس ومعه عدد من مستشاريه قادرون أن يدرسوا فى مدة شهر هذا النص الذى قدم إليهم، فإذا اقترحوا عليه تعديلا يرسلونه إلى لجنة الدستور، ثم يطرح للاستفتاء فى مدة 15 يوما.

□ هل استشعرت أنه متفهم لقلقك؟

□□ قد لا يكون من حقى أن أنقل مشاعره، لكن أنا شعرت أن الرجل تجاوب فكريا مع ما أبديت من حجج خاصة لما قلت إن السياسة بالانطباع وليس بالإقناع وإنه مهما كانت حججك أمام الناس إذا شك الناس فيها فمن واجبك إيضاح شكوكهم والتغلب عليهم، الرجل كان متفهما لكن عندما رأيت الجلسة مساء لم يعجبنى المنظر.

□ ما الذى لم يعجبك فيه؟

□□ أول شيء أن قاعة المؤتمرات تذكرنى بالنظام السابق، والكراسى المرصوصة بالطريقة دى، إذا الرئيس أراد أن يعلن عن الدستور يذهب إلى ميدان التحرير، أنت حلفت أمامة اليمين أول مرة، خذ الدستور إليه.

□ لكـن مـيـدان الـتـحـريـر يرفض الدستور؟

□□ الدستور فيه كثير جداً يُرفض، لكن أكثر شيء أخشاه فى حياة الأمم هو أن تأتى لحظة يتعثر فيها العقل ويشتط فيها الجموح، عايز أقول إن فيه شخص من أعز أصدقائى، جاءنى وقال لى أنت هتتكلم، أنا عارفك، بلاش العقل الزائد، المشاعر جامحة فى الشوارع، وأنا شخصياً لم أذهب إلى ميدان التحرير ولا مرة.

□ ولا مرة؟

□□ لأننى شعرت أن هذه صيحة جيل علىّ أن أسمعها باحترام وأكبر خدمة أقدمها أو يقدمها جيلى كله أن نبتعد عنها، كل من تخطى السبعين يبتعد عنها، مش ممكن، أنا لم أر مجتمعاً من العواجيز مثل هذا.

□ رأيـت الـمـشـهـد عـلـى شاشة التليفزيون.. الرئيس يتسلم الدستور ويقرر الاستفتاء خلال 15 يوما.. هل شعرت أن مافيش فايدة؟

□□ لفتت نظرى السرعة.

□ شعرت أنهم لم يستمعوا لنصيحتك؟

□□ حتى لا أظلم أحداً، ربما لم يتمكن من لقاء الرئيس أو أنه قدمها ورُفضت، لكن لما شفت الرئيس مرسي يقول دعوة إلى مؤتمر بدأت أتفاءل، لكن وجدت أن الدعوة بعد أمر واقع، هذا لا يصح، إذا كنت تريد أن تناقش شيئا معى فلا تتصرف ثم تطلب منى الكلام. ما أخافنى هو أن السرعة بدت غريبة جداً وحركة الميدان التالية لها بدت غريبة، وتصورت، وأظننى لست مخطئا فى تصورى، أننا أمام طرفين قلقين جداً: طرف قلق جداً يستعجل جداً لأنه يخشى جداً أن يعود به الحاضر إلى ماض يعرفه ويذكره، الإخوان خايفين أو التيار الإسلامى خايف، فبدأ أنه يتصرف على عجل لأن ذكريات ما جرى له فى الماضى تخيفه.

□ أو أنه يخشى أن يفقد السلطة.

□□ أنا أقول إنه يخشى من ماض هو يعرفه وقد تعب فيه بلا شك، وهناك طرف آخر يخاف من مستقبل لا يريده، الشباب من ناحية لا يريد أن يرى صورة المستقبل كما بدت فى الدستور،